بالجبن والخوف . ويرسم انكسارهم ؛ فيوجعهم بأسلوب تغلب عليه البداوة ، على فحش غير قليل فيتناول أم معاوية مثلا بما لا يحسن أن يذكر من أعضائها ، وينسب إليها الفاحشة والعهر . ويتناول عمرو بن العاص بشعر مقذع يعتذر فى ختامه أنه لم يستطع أن يقول ما كان يريد أن يقول :

لولا النبى وقولُ الحـقّ مُغْضِبَة لمـا تركتُ لكم أنثى ولا ذكرا

مع أنه لم يترك لهم شيئاً لم يصبه لسانه . وهو يقول فى هجاء بنى المغيرة :

هلا منعـتم من المخـزاة أمـكمُ عند الثنية من عمرو بن يحمـوم
أسلمتموها فباتتْ غيرَ طاهـرة ماء الرجال على الفخذين كالموم[1]

فرمى أمهم بالخنا وجعلها غير طاهرة ورسم منها ما لا يرسم معاصر للنبىّ ، ولكن الرسول الكريم أباح له أن يفعل كما ذكرنا . فسار فى سبيله القديمة ولم يبال بهتك الأعراض . فقال فى هجاء قوم :

ذهبت قريشٌ بالعلاء وأنتمُ تمشون مشْىَ المومسات الخرَّع[2]
أنتم بقية قوم لوط فاعلمـوا وإلى خنائكم يشـار بإصْبـع

وبذلك لم يغادر قبيحة لم يلصقها بهم . ووضعهم موضع الزوانى ثم جعلهم كقوم لوط . يشار إلى خنائهم بالأصابع فى أقوام العرب . وهذا إقذاع شديد وإمعان فى الفحش قلما نقع على مثله فى هجاء الأعراض مما أوردنا فى غير هذا الفصل . ولكنه يصنع هذه الصور للانتقام المذهبىّ السياسى والتشفى من أعداء الدين الجديد . متخذاً طريقه إلى ذلك بالسخرية والتفنن فى الهجاء والبراعة فى ابتكار الإقذاع على صور مختلفة يستمد بعضها من القرآن وبعضها من ماضيه الأدبى . فيقول فى رهط النجاشى الشاعر :

لا بأسَ بالقوْم منْ طول ومن عظم جسمُ البغـال وأحـلام العصافير

---

(١) الموم : الشمع .
(٢) الخرع : المرأة التى تثنى ليننا .